دلالات (الشهادة) في التعبير القرآني

د. وسن علي حسين

aliwasan880@gamail.com

وزارة التربية/ المديرية العامة لتربية بابل

الملخص

موضوع المقالة يختصُّ بالكشف عن الدلالات المتنوعة للشهادة في نصوص القرآن الكريم ، ابتداء من بيان الجذر اللغوي لـ (شهد) في المعجم العربي ، ودلالته على الحضور، وبيان العلم، وشهادة العالم بالشيء، ثم اتساع هذه الدلالات في النصِّ القرآني إلى معانٍ جديدة صرّح بها التعبير القرآني استجابة للمفاهيم الجديدة التي أوردها الإسلام وطبّقها الرسول الأكرم في مواردها التي نصّ عليها الشارع المقدّس في نصوص الكتاب العزيز ، وشاعت في البيئة الإسلامية ، فكانت صفحات هذه المقالة راصدة لهذه الدلالات ، كاشفة عن السياقين اللغوي والمقالي اللذين اكتنفا التراكيب التي حوت ألفاظ الشهادة ، وما دلّت عليه من وظائف لغويّة .

الكلمات المفتاحية:الشهادة، التعبير القرآني، الدلالة، الاتساع اللغوي.

The connotation of testimony in Quranic expression

Dr.Wasan Ali Hussein

General Directorate of Education,Babylon

Abstract

The toic of the article is concerned with revealing the various connotations of testimony in the texts of the Holy Quran, starting with an explanation of the linguistic root of (witness) in the Arabic dictionary, and its connotation of presence ,and the statement of knowledge, and the knowledgeables testimony of a thing, then the expansion of these connotations in the Quranic text to new meanings stated by the expression .The Quranic Quran is a response to the new concepts introduced by Islam and applied by the noble messenger in its sources , which were stipulated by the Holy law in texts of the mighty book, and which became widespread in the Islamic environment . the pages

connotations, revealing the linguistic and essay contexts that surrounded the structures that included the words of testimony, and what they signified. It has linguistic function.

Key words;Testimony, Quranic expression, significance, linguistic breadth.The connotations of testimony in Quranic expression.

توطئة:

إنّ الشهادة من القيم العليا والملكات العالية التي يهبها الله سبحانه لمن يشاء من عباده المخلصين، من الذين يشهدون بالحقّ ويموتون عليه .

والثابتُ في معناها أنّها إنّما تكون خالصة لله سبحانه ، فالله (عزّ وجلَّ) هو الأحقُّ بالشهادة، مصداقاً لقوله: (وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلى ما تَعْمَلُونَ) (آل عمران: ٩٨) ، و: (أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (فصلت ٥٣) ، ثمّ يَمتنُّ بها سبحانه على مَنْ اصطفى من عباده[١]، قال تعالى: (وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً) (البقرة : ٤١).

وقد أورد التعبير القرآني دلالاتٍ متنوعة للشهادة ، نظر إليها اللغويون وسجّلوا في ضوئها المعاني اللغوية لمادة (ش هـ د) ، فقد أوردوا فيها : شَهِدَ يشهَدُ شهادةً ، وشهِد الرجلُ على كذا، فهو شاهِدٌ، والشاهدُ: العالمُ الذي يبين علمهُ ، والجمعُ : أشهادٌ وشُهودٌ وشُهَّدٌ ، والشهيدُ : الشاهدُ، والجمعُ : شُهَداء [٢] .

ومن أهمّ الدلالات التي استحدثها الإسلام للشهادة هي (التوحيد) ، وهو الركن الأول من أركان الدخول في الإسلام بشهادة (أنْ لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله)، وبذلك يكون الإسلام قد اكسب الشهادة دلالة الإيمان وما يصدر عنه من إقرار وتصريح، ليغدو معناها: الاعتراف بوحدانية الله وتنزيهه عن الشريك ، والتصديق بنبوة الرسول الأكرم.

واستحدث النصُّ القرآني من دلالات الشهادة معنًى لا ندركه إلا بإخبار الله سبحانه، وهو شهادة رسول الله على الأنبياء في يوم القيامة ، قال تعالى: (فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً) (النساء:٤١) .

ومن الدلالات الأُخَر التي ظهرت في النصوص القرآنية للمتَّصِف بالشهادة : (الحافظ أي : الملك الذي يكتب أعمال بني آدم ، وأُمّة رسول الله ، والمُستَشهَد في سبيله تعالى ، والذي يشهد على حقٍّ من حقوق الناس ، والحاضر، والشريك) [٣].

[١] – ينظر: الميزان في تفسير القرآن ، السيد محمد حسين الطباطبائي ١٣٧/٦.

[٢] – ينظر: الصحاح ، للجوهري ٤٩٤/٢-٤٩٥، ولسان العرب ، ابن منظور ٢٣٩/٣.

[٣] – ينظر: الأشباه والنظائر، مقاتل بن سليمان ١٤٧-١٤٨.

وبذلك يكون المستشهد في سبيل الله هو الشهيد بمعناه الإسلامي الجديد، وهو الذي يُضحّي بنفسه على طريق الحقّ فينال المنزلة العليا ، وقد بيّن سيحانه مقدار حبّه لشهداء دينه في قوله: (وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (آل عمران ١٤٠) ، وإنّما عبّر سيحانه بـ(الاتخاذ) لكمال العناية بالشهداء والتكريم لهم ، فقد أحبهم سبحانه وارتضاهم فاتخذهم شهداء .

ومن المواضع الأُخَر التي أظهر الله فيها تشريفَه للمُتَّصِف بالشهادة : قوله : (وَالشُّهَداءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ) (الحديد : ١٩) ، وفي تقديم لفظ (الشهداء) وكونهم (عند ربهم) تشريف لمكانتهم وإعلاء لمنزلتهم ، إذ منزلتهم مِن منزلةِ مَن يكونون عنده ، وفيه الدلالة على سرمدية هذه المنزلة لهم ، فهم خالدون أبداً بخلود الله. وفي تقديم متعلّق الخبر(الجار والمجرور _ لهم _) على المبتدأ (أجرهم) إيذانٌ بكمال العناية بهم والتشريف لمقامهم.[١]

ومن دلالات الشهادة في التعبير القرآني(القتل في سبيل الله) ، كما ورد في قوله تعالى : (وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) (آل عمران: ١٦٩). ولعل التعبير بالقتل هنا مجانسة للموت، والمراد بالقتل هنا القتل الظاهري وسقوط الإدراك لأجل مفارقة تلك الحياة المعروفة ، أمّا حياة الآخرة فهي الحياة الواقعية المعنوية.

ونلحظ أنّ المخاطب في الآية هو الرسول الأكرم، ونميّز فيها حذف المسند إليه في الجملة الاسمية بعد حرف الإضراب(بل)، ووصفه بصيغتين متواليتين(عند ربهم) و(يرزقون) ، ولعلّ في ذلك التعبير القرآني ما يُرشد إلى حقيقةٍ لا يمكن إدراكُها بيسرٍ، ولا تقبلها عقول سائر الناس المأنوسة بالمادة، إلا من كان متصلاً بالفيض الربوي ومتربياً بالتربية الإلهية ومهتدياً بهدى الله تعالى [٢].

و ورد لفظ (القتل في سبيل الله) بمعنى الشهادة كذلك في آيتين كريمتين، الأولى قوله تعالى : (وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) (آل عمران:١٥٧)، والثانية قوله تعالى:(وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ) (آل عمران:١٥٨) .

ونلحظ اختلاف التعبير القرآني فيهما ، ففي الأولى قدّم (القتل) على(الموت)، وفي الثانية قُدِّم (الموت) على (القتل) ، وقصدية التعبير في كلّ موضعٍ تُنبئ عن السبب، ذلك أنّ الآية الأولى في سياق تأكيد القتال في سبيل الله بحسب ما صرّحت به الآية قبلها : (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقالُوا لِإِخْوانِهِمْ إِذا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كانُوا غُزًّى لَوْ كانُوا عِنْدَنا مَا ماتُوا وَما قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (آل عمران: ١٥٦) .

[١] – ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ٥٤/١٨.

[٢] – ينظر: الكشاف، للزمخشري ١٣٣/١، والبرهان في علوم القرآن ، الزركشي ٢٥٨/٤.

فإن كون القتل في سبيل الله سبباً للمغفرة ممّا يحتاج إلى تدبُّر وعزم ، فالتذكير في (رحمة) و(مغفرة) ، أوحى بأن السفر والغزو في سبيل الله ليس ممّا يجلب الموت ويسبب الهلاك ، ولئن وقع ذلك بأمر الله لنفحة يسيرة من مغفرة الله ورحمته تعالى، وذلك خيرٌ ممّا يجمعون . وفي الثانية كون الموت في غير سبيل الله له مثل تلك النتيجة ممّا يُستبعَد [١] .

ونلحظ في سياق الآيتين أنّ جواب الشرط قد حُذف ، وترك لجملة جواب القسم الإحاطة بالتركيب من جانبيه ، إذ إنّ تقدم القسم على الشرط سوّغ حذف جواب الشرط وتقديره من سياق جواب القسم، على وفق القاعدة النحوية [٢]، وذلك لمزيد العناية بموضوع الشهادة في سبيل الله .

ونخلص من ذلك أنّ الشهادة قد ذُكرت في التعبير القرآني بمعانٍ عدّة ، فمنها ما اختصّ به سبحانه ، ومنها ما اختصّ برسوله الكريم ومَن اختارهم واصطفاهم لرسالاته وبيان شرائع دينه، ومنها ما أُفرد لسائر الأمّة ممّن ينطبق عليهم الاتصاف بالشهادة ، مِن الذين شهدوا الحقَّ وماتوا عليه ، فهؤلاء هم أكرم الناس وأنبلهم ، وبدمهم يوزن مداد العلماء في يوم القيامة .

ولعلّ الصورة الحيّة للشهادة، بمعانيها المتنوعة، قد جسّدها الدمُّ الطاهر الزكي الذي سال في أرض كربلاء ، ورسم بوضوح الآية البيّنة لمعنى الشهادة على امتداد الزمان والمكان ، فالحسين (عليه السلام) هو سيد الشهداء.

المصادر:

- الأشباه والنظائر في القرآن الكريم: مقاتل بن سليمان(أبو الحسن بن بشير الأزدي البلخي ت١٥٠هـ)، تحقيق عبد الله محمود شحاته، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،١٩٧٥م.
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، نشر مدرسة الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) ، قم، ١٤٢٦هـ.
- البديع في علم العربية : مجد الدين ابن الأثير:(أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ت٦٠٦ هـ)، تحقيق ودراسة: د. فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ، ط ١، ١٤٢٠ هـ.
- البرهان في علوم القرآن: الزركشي(أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر ت ٧٩٤هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، القاهرة، ط١، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م.
- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) : الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حماد ت ٣٩٣هـ) ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار الكتاب العربي ، مصر ، ١٩٦٧م.

[١] – ينظر: الميزان في تفسير القرآن ، السيد محمد حسين الطباطبائي ١٣٧/٦.

[٢] – ينظر: البديع في علم العربية ، مجد الدين بن الأثير ٢٧٩/١.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري (محمود بن عمر ت ٥٣٨هـ)، رتبه وضبطه وصححه مصطفى حسين أحمد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٤٧ م .
- لسان العرب: ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ط٣، ١٤١٤هـ.
- الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م